﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢﴾ [الحجّ: 52]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

تسليةُ النَّبيِّ ﷺ بِذِكْرِ حالِ الأنبياءِ السّابقين مع أقوامهم

بعدَ أنِ استعجلوا العذاب؛ أمر الله تعالى نبيَّه بأن يُنادي النّاس ويُخبرهم أنَّه نذيرٌ لهم، وبيَّنَ مآلَ مَن استجاب للنّذارة ومَن أعرضَ عنها؛ ذكر تعالى هُنا مَسلاةً ثانيةً باعتبار مَن مضى من الرُّسل والأنبياء، وهي أنَّهم كانوا حريصين على إيمان قومهم مُتمنّينَ لذلك مُثابرينَ عليه[1]؛ فبيَّن أنَّ له أسوةً بالأنبياء السّالفة والرُّسل السّابقة في كلِّ ما يأتي ويذر فقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَمَنَّىٰٓ﴾، ﴿أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾: (مني) أصلٌ واحدٌ صحيحٌ يدلُّ على تَقْديرِ شَيءٍ ونفاذِ القَضاءِ به؛ ومنه قولهم: مَنَى له الماني؛ أيْ: قَدَّرَ المُقَدِّرُ[3]، والتَّمَنّي تَشَهّي حُصولِ الأمرِ المَرْغوبِ فيه، وحديثُ النَّفْسِ بما يَكونُ وما لا يكون[4]، وهي أيضًا: طَلَبُ الشَّيْءِ العَسيرِ حُصولُهُ، والأُمْنِيَّةُ: الشَّيْءُ المُتَمَنَّى[5]، وأيضًا: الصّورة الحاصلة في النَّفْس من تَمَنّي الشَّيء[6]، وتَمَنَّى بمعنى: قَرأ، يُقالُ: تَمَنَّى الكتابَ: قَرأهُ، وهو ذلكَ المعنَى؛ لأنَّ القِراءَةَ تَقديرٌ ووَضْعُ كلِّ آيَةٍ مَوْضِعَها، وحقيقةُ التَّمَنّي في الآية: القراءةُ.

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 524.
(2) النَّيسابوريّ، غرائبُ القرآن: 5/ 90.
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (مني).
(4) ابن الأثير، النهاية، وابن منظور، لسان العرب: (مني).
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 297.
(6) الرّاغب، المُفردات: (منى).

2) ﴿أَلْقَى﴾: (لقي) أَصْلٌ يَدلُّ على طَرْحِ شَيْءٍ، واللَّقى: الشَّيْءُ المُلْقى المَنْبوذ[1]، والإلْقاءُ: طَرْحُ الشَّيء حيث تلقاه؛ أيْ: تراه، ثمَّ صارَ في التَّعارف اسمًا لكلِّ طَرْحٍ[2]، ويُطلَقُ على الإفْضاءِ بالكلامِ ﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ [الشُّعراء: 223]، وعلى حُصولِ الشَّيءِ في النَّفْسِ كأنَّ مُلقيًا ألقاهُ؛ أيْ: من غير سَبْقِ تهيُّؤٍ: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ [المائدة: 64][3]، ومعنى الإلقاءِ في الآية الكريمة: الوسوسة.

3) ﴿فَيَنسَخُ﴾: (نسخ) أصلٌ واحِدٌ، والنَّسْخ: رَفْعُ شَيْءٍ وإثْباتُ غَيْرِهِ مَكانَهُ، يُقالُ: نَسَخَ الشَّيءَ يَنْسَخُهُ نَسْخًا فهو ناسِخٌ إذا رَفَعَهُ وثَبَتَ مَكانَهُ، وكلُّ شَيءٍ خَلَفَ شَيْئًا فقَدِ نَسَخَهُ وانْتَسَخَهُ، ويأتي النَّسْخُ بمعنى: تَحويلِ شَيءٍ إلى شَيءٍ[4]، ونَسْخُ العَسَلِ: تَحْويلُهُ مِنْ خَليَّةٍ إلَى أُخْرَى، والنسخُ أيضًا: الإزالَةُ، تقولُ: نَسَخَتِ الرّيحُ الأثَرَ؛ أيْ: أزالَتْهُ، ونَسَخَ اللّهُ الآيَةَ إذا أزالَ حُكمَها[5]، ويُطْلَقُ النَّسْخُ بمعنى: النَّقْل؛ كقولكَ: نَسَخْتُ الكتابَ إذا نَقَلْتَهُ حَرفًا بحرفٍ، والنُّسخَةُ: الكِتابُ المَنقولُ، والتَّناسُخُ: الانتقالُ، والاستنساخُ: طَلَبُ النَّسْخِ[6] والمُراد بالنَّسْخِ في الآية: الإزالَةُ؛ أيْ: يُزيلُ ويمحو آثارَ ما يُلْقي الشَّيطانُ.

4) ﴿يُحْكِمُ﴾: (حكم) أَصْلٌ واحِدٌ؛ وهو المَنْعُ، وأوَّلُ ذلكَ الحُكْمُ، وهو المَنْعُ من الظُّلْم، وكُلُّ شَيْءٍ مَنَعْتَهُ مِن الفَسادِ فقد حَكَمْتَهُ وأحْكَمْتَهُ[7]، والحُكمُ أيضًا: القَضاءُ والفَصْلُ، تَقولُ: حَكَمْتُ بَيْنَهُما إذا قَضَيْتَ، ويأْتي بِمَعْنى: الشّيْءِ الحَسَنِ المُتْقَنِ، والجَمْعُ: أحْكامٌ، والإحْكامُ: الحُسْنُ والإتْقانُ والتَّثبيت، يُقال: أحْكَمْتُ صُنْعَ الشَّيءِ؛ أيْ: أتْقَنْتَهُ، والحَكيمُ: المُتْقِنُ للأُمورِ[8]، والمُراد بالإحكام في الآية: التَّثبيتُ[9].

(1) ابن عبّاد، المحيط في اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (لقي).
(2) الرّاغب، المُفردات، والسّمين، عُمدة الحُفّاظ، والزّبيديّ، تاج العروس: (لقى).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 4/ 123.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن سِيدَه، المُحكم، وابن منظور، لسان العرب: (نسخ).
(5) المَناويّ، التّوقيف، ص: 697.
(6) الرّاغب، المُفردات: (نسخ).
(7) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (حكم).
(8) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (حكم).
(9) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 301.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الـــرَّســـولُ ﷺ بَشَرٌ صانَه اللهُ وعصَمه

يقول الله تعالى لرسوله مُحمَّد ﷺ: وما أرسَلْنا مِن قَبْلِك يا مُحمَّدُ من رَسولٍ ولا نبيٍّ إلّا إذا قرأ، ألقى الشَّيطان على سامعيه وهو يتلو الوحي الذي أُنزل إليه شبهاتٍ فيما يقرأ، فيقول قوم: إنَّه سِحْرٌ، ويقول آخرون: إنَّه نقله عن بعض الأوّلين، وهكذا من الأباطيل والتُّرّهات التي يتقوَّلونها، فيُذهِبُ اللّهُ ويُزيلُ ما يُلقيه الشَّيطانُ من الباطِلِ في قراءةِ نَبيِّه، ولا يتأثَّرُ بباطِلِه المُؤمِنونَ، ثمَّ يُخَلِّصُ اللّهُ آياتِ كِتابِه من الباطِلِ الَّذي ألقاه الشَّيطانُ، ويَحفَظُها ويُبَيِّنُها، ويُظهِرُ أنَّها وحيٌ مُنَزَّلٌ منه بحَقٍّ، واللّهُ عَليمٌ بكُلِّ شَيءٍ، فيَعلَمُ ما يكونُ من الأمورِ، وما يَحدُثُ في خَلْقِه، ومن جملةِ ذلك عِلمُه بما يوحيه إلى نبيِّه، وبقَصدِ الشَّيطانِ؛ حَكيمٌ في كُلِّ ما يفعَلُه، يضَعُ كُلَّ شَيءٍ في مَوضِعِه الصَّحيحِ اللّائِقِ به، ومن جُملةِ ذلك حِكمَتُه في تمكينِ الشَّيطانِ من إلقاءِ الباطِلِ، ومن حِكمَتِه أنَّه لا يَدَعُه حتى يَكشِفَه ويُزيلَه[1]، ولا يخفى حينئذٍ بيانُ المعنى الإجمالي على تفسير ابن عاشور للأُمنيَّة.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ العطفِ في الجملةِ الكريمةِ:

من شأن نفسه الشَّريفة ﷺ التَّحسُّر على أهل النّار من أُمَّته

جملة ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ﴾ معطوفة على جملة ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾؛ لأنَّه لمّا أفضى الكلام السّابق إلى تثبيت النَّبيّ ﷺ وتأنيس نفسه فيما يلقاه من قومه من التَّكذيب بأنَّ تلك شنشنة الأمم الظّالمة من قبلهم فيما جاء عقب قوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَمۡلَيۡتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ﴾، وأنَّه مقصور على النَّذارة؛ فمَنْ آمن فقد نجا، ومَنْ كفر فقد هلك؛ أُريد الانتقال من

(1) ابن جرير، جامع البيان: 16/ 611، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5/ 445، وابن عجيبة، البحر المديد: 3/ 545، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 17/ 128، والسَّعديُّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 542.

ذلك إلى تفصيل تسليته وتثبيته بأنَّه لقي ما لقيه سَلَفُه من الرُّسل والأنبياء ﷺ، وأنَّه لم يسلم أحدٌ منهم من محاولة الشَّيطان أن يُفسد بعض ما يحاولونه من هدي الأمم، وأنَّهم لقوا من أقوامهم مُكذِّبين ومُصدِّقين سُنَّة اللّٰه في رسله ﷺ[1]، فالجُملة مسوقةٌ للشُّروع في تسليةٍ ثانيةٍ للنَّبيِّ ﷺ[2].

إيثار قوله ﴿أَرْسَلْنَا﴾ دون (بعثنا):

لـفـظُ الإرسـالِ أنـسـبُ لـمـقـامِ التِّلاوة وعلى مَن يـحـمـلُ رسـالـةَ البشارةِ والنِّذارة

آثرَ النَّظم الكريم استعمالَ لفظِ الإرسالِ دون البعثِ في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِيٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾؛ فلم يَقُلْ: (وما بعثنا) مع أنَّ لفظَي (الإرسال والبعث) مُتقاربان في المعنى؛ إذ قد يُعبَّر بأحدهما عن الآخر[3]؛ إلّا أنّه آثرَ لفظ الإرسالِ؛ لكونِه أكثرَ مُناسبةً للسّياقِ؛ فالإرسالُ يتميَّز بملمحِ الرِّفقِ والتُّؤدة والسُّهولة؛ ومنه الرَّسَلُ: السَّيْرُ السَّهْلُ[4]، والرِّسْل: الرِّفْق والتُّؤَدةُ، ومنه: الرَّسولُ[5]، بخلاف البعث الذي يتميَّز بملمح الإثارة والدَّفع[6]؛ فالإرسالُ أنسبُ مع تمنّي الرَّسول هدايةَ قومه رِفقًا بهم، وكذلك الرِّسالة التي يحملها الرَّسول، وهي رسالة البشارة والنِّذارة وقد سبق ذِكْر النَّذارة والبشارة في الآيات السّابقة، والإرْسال يكونُ برسالةٍ وما يجْري مَجْراها[7].

سرُّ إضافة فعل الإرسال الى ضمير العظمة والكبرياء:

تـعـظـيـمُ شـأن الارسـال الـدّالّ عـلـى عَـظَـمَـة المُرسِل

قوله تعالى: ﴿أَرْسَلْنَا﴾؛ أيْ: بعظمتنا[8]؛ فجاء بصيغَةِ التَّعْظيم للمُتكلِّم المُرسِل جَرْيًا على سَنَنِ الكُبَراءِ؛ فهَذا التَّعْبيرُ يَسْتَدْعي

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 297.
(2) الدَّرويش، إعراب القرآن الكريم: 6/ 449.
(3) الكفويّ، الكلّيّات، ص: 244.
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (رسل).
(5) الرّاغب، المُفردات: (رسل).
(6) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (بعث).
(7) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 289.
(8) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 13/ 70.

العَظَمَةَ والوَقارَ؛ وهوَ يُناسِبُ المَقامَ، حَيْثُ إنَّ إرْسالَ الرِّسالَةِ شَأْنٌ عَظيمٌ يَسْتَدْعي أنْ يَكونَ الخِطابُ مُتَضَمِّنًا أساليبَ التَّعْظيمِ؛ ومِنْها الخِطابُ بصيغَةِ جَمْعِ المتكلّم، وفي ذلك كلُّ تعظيمٍ لنبيِّنا ﷺ من ربِّه؛ وهذا من شأنه تسليتُه والتَّسريةُ عنه.

دلالةُ تكرارِ حرف الجرِّ ﴿مِن﴾:

انقطاعُ التَّحسُّر بعموم البلاء

وردت ﴿مِن﴾ في قوله تعالى: ﴿مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ﴾ مُكرَّرة مرتيْن، لكن لكلٍّ واحدة منها دلالة؛ فـ﴿مِن﴾ الأولى ابتدائيَّة لتحديد جميع الأزمنة السّابقة على زمن رسالته ﷺ فتُفيد الشُّمول الزَّمنيَّ، والثّانية مزيدةٌ مؤكِّدةٌ لاستغراق الجنس[1]، وزائدة لتأكيد النَّفي[2]، وتأكيدُ عموم القبليّة في الأمم المُتقدِّمة[3]، والتَّصريح بالاستغراق، بحيث لا يبقى وجهٌ واحتمال[4]، ويشترك هذان العمومان في الزَّمان والأشخاص مع توكيد النَّفي لإظهار إرادة كمال التَّسلية للنَّبي ﷺ فينقطع تحسُّره على ضلال بعض أُمَّته.

سرُّ التَّنكيرِ لفظتي ﴿رَّسُولٍ﴾ و﴿نَبِيٍّ﴾:

عمومُ البلاءِ يُخفِّف الهموم

قوله: ﴿مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ نصٌّ في العُموم والكثرة لنكارتهما، ولِما تُنبئ عنه (لا) الزّائدة لتوكيد النّفي؛ فأفاد أنَّ ذلك لم يَعْدُ أحدًا من الأنبياء والرُّسل[5]؛ وهو خبرٌ يتضمَّنُ حكمًا عامًّا، لا انفكاك منه يقعُ على رسل الله وأنبيائه جميعًا، وهذا الحُكم هو أنَّه ما من رسولٍ من رسلِ الله ولا نبيٍّ من أنبيائه إلّا والشَّيطان راصدٌ له، وأنَّه كُلَّما تمنَّى ألقى الشَّيطان في أُمنيّته! وهذا صريح ما تنطق به كلمات الله في وضوحٍ وجلاءٍ[6]، وأفاد التَّنكير الشُّمول والاستغراق لكي يَخفَّ الألم ويتسلَّى بما جرى للرُّسل والأنبياء السّابقين.

(1) الآلوسي، روح المعاني: 9/ 164.
(2) القِنَّوْجيّ، فتح البيان: 4/ 484.
(3) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 3/ 193.
(4) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 13/ 70.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 297.
(6) الخطيب، التَّفسير القرآنيّ: 9/ 1061.

دلالةُ عطفِ النَّبيِّ على الرَّسولِ:

بيان التَّغاير في المعنى بين اللَّفظين من جهة العموم والخصوص

عَطْفُ ﴿نَبِيّ﴾ على ﴿رَّسُولٍ﴾ دالٌّ على أنَّ للنَّبيِّ معنًى غير معنى الرَّسول؛ فالرَّسولُ هو الرَّجل المبعوث من اللّه إلى النّاس بشريعة مُجدَّدةٍ يدعو النّاس إليها، والنَّبيُّ مَن أوحى اللّه إليه بإصلاحِ أمرِ قومٍ بحملهم على شريعة سابقةٍ، أوْ بإرشادهم إلى ما هو مُستقرٌّ في الشَّرائع كُلِّها؛ فالنَّبيُّ أعمُّ من الرَّسول عمومًا مُطلقًا[1]، إذ كلُّ رسولٍ نبيٌّ وليس كلُّ نبيٍّ رسولًا، وأفاد عطفُ العامِّ على الخاصِّ العمومَ والشّمولَ، يتضافر مع باقي أدوات العموم الواردة سابقًا في إفادة التّسرية للهموم.

تقديمُ ذِكْرِ الرَّسول:

مُناسبةُ الإرسالِ المذكورِ أوّلًا في السّياق أبلغُ في تسليته ﷺ

خَصَّص النَّظم الكريم ذِكْرَ الرَّسول أوّلًا، ثم عَمَّم بذِكْر النَّبيِّ فقدَّم الرَّسول لمُناسبة قوله ﴿أَرْسَلْنَا﴾، وأخَّر النَّبيَّ لتحصيل العموم؛ لأنَّه لو اقتصر على ﴿رَّسُولٍ﴾ لم يدخل في ذلك مَنْ كان نبيًّا غير رسول[2]، وسيدنا مُحمَّدٌ ﷺ رسولٌ ونبيٌّ، وقد بدأ بالخاصِّ لشرفه، ولأنَّه أنسبُ بحال المخاطَبِ وهو رسولنا الكريم.

دلالةُ الاستثناءِ بـ ﴿إِلَّآ﴾:

بيانُ كونه واقعًا من عموم أحوالٍ تابعةٍ لعموم أصحابها

في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ الاستثناءُ من عموم أحوالٍ تابعةٍ لعموم أصحابها، وهو ﴿مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾؛ أيْ: ما أرسلناهم في حالٍ من الأحوال إلّا في حال إذا تَمَنَّى أحدهم أمنيَّةً ألقى الشَّيطان فيها إلخ؛ أيْ: في حال حصول الإلقاء عند حصول التَّمنّي؛ لأنَّ أماني الأنبياء خَيْرٌ مَحْضٌ، والشَّيطان دأبُه الإفساد وتعطيلُ الخير[3]؛ وهذا عمومٌ آخر يُضاف للعمومات السّابقة مفيدٌ لكمال التّسلية للنّبيِّ ﷺ وتخفيف آلامه.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 297.
(2) ابن جُزَيّ، التَّسهيل لعلوم التَّنزيل: 2/ 43، والنَّيسابوريّ، غرائب القرآن: 5/ 90.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 298.

توجيه القراءات الواردة في لفظ ﴿نَبِيّ﴾:

تغاير الألفاظ يثري المعاني

قرأ نافع وحده بالهمز ﴿نَبِيٓءٍ﴾، وقرأ الباقون بترك الهمز[1]، فالحجّة لمن همز: أنه أخذه من قوله: (أنبأ بالحق)، إذا أخبر به، ومنه: ﴿أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [البقرة: 31]، فهو من (النبأ) الذي هو الخبر؛ لأنّ النّبيّ مخبر عن الله، جلّ ذكره، فهي تبنى على (فَعِيل) بمعنى (فاعِل)، أي: (منبيءٌ عن الله).

ويُوجّه ترك الهمز على عدّة أوجه **منها**: أنّ الهمز مستثقل؛ ولأنّ قريشًا لا تهمز، فأجراه على التخفيف فهو على نفس معنى القراءة بالهمز، **والثاني**: أنه مأخوذ من (النّبْوَة) وهي: (ما ارتفع من الأرض وعلا)؛ لأنّه أخبر عن العالم العلوي، وأتى به عن الله تعالى[2]، فالقراءتان دَلَّتَا على وصف ثابت للأنبياء صلى الله عليهم وسلم: الإخبار بالحق، والارتفاع - بالوحي - عن الخلق، والوصفان مهمان في هذه الآية التي تتعرض لأمر شرعي من الأهمية بمكان، وهو النّسخ.

بلاغة القصر بالنَّفي والاستثناء في الجُملة الكريمة:

بيانُ شِدَّة كيدِ الشَّيطانِ ومَكرِه

القصر مُستفاد من النَّفي والاستثناء في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ وهو قصرٌ موصوفٌ على صفةٍ، وهو قصرٌ إضافيٌّ؛ أيْ: لا نرسلُ أحدًا منهم في حال الخُلوِّ من إلقاء الشَّيطان ومَكْرِه[3].

إيثار فعل (التَّمنّي) ودلالته:

من سَمْتِ الأنبياء والرُّسل محبةُ أقوامهم

التَّمني كلمة حقيقتها طلبُ الشّيء العسيرِ حصولُه، والأُمنيَّة هي الشّيء المُتمنَّى، وإنّما يتمنّى الرُّسل والأنبياءُ أن يكون قومُهم كُلُّهُمْ

(1) ابن الجزري، النشر: 1/ 406.
(2) ابن خالويه، الحجة، ص: 80، ومكّي، الكشف: 1/ 244.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 298.

صالِحينَ مُهْتَدينَ[1]، وأُمنيَّةُ كلّ رسول ورغيبة كلّ نبيٍّ هي أن يرى قومَه على الهُدى الذي يدعوهم إليه، وأن يُصبحوا جميعًا في عِداد المؤمنين باللّه؛ فتلك هي رسالته في النّاس يعيش لها، ويعمل من أجل تحقيقها، وأنَّ سعادته كلَّها هي أن يرى نجاحَ مسعاه وثمرة جهاده في هذه الأعداد التي استجابت له واتّبَعَتْهُ، وأنَّه كُلَّما كثرت هذه الأعداد، تضاعفَتْ سعادتُه، وعظُمت غِبطتُه[2]؛ فعبَّر بالتَّمنّي دلالةً على عظيم رغبة كلِّ نبيٍّ ورسولٍ في المذكور.

سرُّ مجيء الفعل ﴿تَمَنَّىٰٓ﴾ مُفردًا:

جهاتُ الوحدة في الأنبياء والرُّسل كثيرة

ورد الفعل في قوله تعالى: ﴿إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ مُفردَ الضَّمير وإنْ تقدَّمه شيئان معطوف أحدهما على الآخر بالواو؛ لأنَّ في الكلام حذفًا تقديره: (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلّا إذا تَمَنَّى ولا نبي إلّا إذا تمنى)؛ كقوله: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التَّوبة: 62]؛ فحُذف من الأوَّل لدلالة الثّاني عليه[3]، وفي الإفراد دلالةٌ على استوائهم في هذا المعنى؛ ودليلٌ على وحدة الخير فيهم، وأنّ أُمنيَّتهم واحدةٌ، وموقفهم إزاء هداية قومهم واحدٌ.

بلاغة الاستعارة في لفظ (الإلقاء):

اشتدت عداوته وعظمت؛ فكانت وسوسته إلقاءً

معنى إلقاء الشَّيطان في أُمنيَّةِ النَّبيِّ والرَّسول في قوله تعالى: ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ إلقاءُ ما يُضادُّ تلك الأُمنيَّة؛ وهو ما يوسوس به للسُّفهاء والحمقى والجهلاء من القوم، ليقفوا في وجه الدَّعوة التي يدعون إليها، وليُرهقوا رُسلهم وأنبياءهم[4]، وصريح الآية إلقاءُ الشيطان ما يُضادُّ تلك الأمنية الطَّيبة في نفس النَّبي والرّسول ليُثبِّطه عن مواصلة الدَّعوة، والإلقاء حقيقته رميُ الشَّيء من اليد،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 297.
(2) الخطيب، التَّفسير القرآنيّ: 9/ 1063.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 527، والقُونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 13/ 92.
(4) الخطيب، التَّفسير القرآنيّ: 9/ 1064.

واستُعير هُنا للوسوسة وتسويل الفَساد؛ تشبيها للتَّسويل بإلقاء شيءٍ من اليد بين النّاس بطريق الاستعارة التَّصريحيّة التَّبعيَّة، ومن الحقيقة قوله تعالى: ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾﴾ [طه: 87] لقوله تعالى: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا﴾ [طه: 96]، ومن المجاز قولُه: ﴿فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ﴾ [النّحل: 86][1].

تصوير حقيقة عداوة الشَّيطان

وفي هذه الاستعارة تصوير حقيقة عداوة الشيطان؛ فهو العدو المبين كما قال القرآن العظيم؛ إذ تحولت الوسوسة إلى جسم يُلقى للدَّلالة على شدّة مَكرِه وعداوته، وممّا يُرشّح هذه الاستعارة تحديدُ المُلقى فيه وهو الأُمنيَّة بالحرف ﴿فِيٓ﴾، وكأنّ الأمنيَّة صارت مكانًا لإلقاء الوسوسة فيه؛ فتتشخّص الأُمنيَّة وتتجسَّد أيضًا.

نكتة حذف مُتعلّق التَّمنّي والإلقاء:

في الحذف كمالُ نفي التّسوية بينهما

مفعولا ﴿تَمَنَّىٰٓ﴾ و﴿أَلْقَى﴾ في قوله تعالى: ﴿تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِيٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ محذوفان دلَّ عليهما المقام والإسناد؛ لأنَّ الشَّيطان إنَّما يُلقي الشَّرَّ والفساد والضَّلال، والأنبياء إنَّما تتمنَّى الهُدى والصَّلاح والخير، والتَّقدير: (أدخلَ الشَّيطانُ في نفوس الأقوام ضلالاتٍ تُفسدُ ما قاله الأنبياءُ من الإرشاد)[2]، أو (ألقى الشَّيطان تثبيطًا في نفوس الأنبياء يصدُّهم عن رغبة الدَّعوة ونشدان الهداية)، وحذف المفعول مع هذيْن الفعليْن يُصوِّر حقيقة أصل كلٍّ من الأنبياء والرُّسل والشَّيطان؛ فالأنبياء والرُّسل الأصل فيهم محبة الخير لغيرهم، والأصلُ في الشَّيطان العداوة لغيره، قال تعالى: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: 82 - 83].

دلالة إظهار لفظ ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾:

الإيذان بأنَّ الشُّرور من شأنه وعمله

إظهار الشَّيطان للإيذان بأنَّ الشُّرور من شأن الشَّيْطَنَةِ، وفي

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 298.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 298.

إظهاره كمالُ التَّحذير من عداوته الشَّديدة الكاملة في بابها، ولبيان أنّ كلًّا من الأنبياء والرُّسل في جانب، والشَّيطان وأتباعه في جانبٍ آخر، وعلى جميع المُكلَّفينَ أن يُدركوا أنَّ الشُّرور في نفوسهم من تسويل الشَّيطان، وأنَّ الخيرَ والنّورَ في قلوبهم من ثمرات اتباعهم للرُّسُل والأنبياء.

دلالة التَّعقيب بالفاء في الجملة الكريمة:

بيانُ ماتَسَبَّب عن إلقاء الشَّيطان ووسوسته

دلّتِ (الفاء) في قوله تعالى: ﴿فَيَنسَخُ﴾ على التَّعقيب السَّريع مع إفادة معنى التّسبُّب عن إلقائه، بأنَّه يُنْسَخُ ويزالُ ويصيرُ أثرًا بعد عينٍ مباشرةً من دون إبطاءٍ؛ عصمةً للأنبياء وحمايةً للمُرسلين في تبليغ الدَّعوة والشَّرائع تامَّةً من غير نقصان[1].

بديعُ الالتفاتُ في الجُملة الكريمة:

سبحان القاهر فوق مخلوقاته

جاء الالتفات في قوله تعالى: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ﴾ بصيغة الغيبة، بعد قوله تعالى: ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾ التي وردت بصيغة التَّكلُّم، وكان مُقتضى الظّاهر أن يُقال: (فنسخْنا - ثمّ أحكمنا آياتنا) أو (فَننسخ - ثُمَّ نُحكم آياتنا) ليتوافق مع السّياقِ السّابق في قوله تعالى: ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾ ويكون جميع السّياق بصيغة التَّكلُّم، لكنّ السّياق القرآنيَّ عدل عن هذا بطريق الالتفات عن التَّكلُّم إلى أسلوب الغيبة لِسِرٍّ بلاغيّ، وهو زيادة تقرير الآية لبيان حكمة الله وقُدرته على نسخ ما يُلقيه الشَّيطان، فكأنَّ دلالة التَّكلُّم دلالة حِفْظٍ ورعاية وعناية تُبطل ما ذهبوا إليه من القول بأنَّ الشَّيطان أدخلَ في قوله ما ليس منه، وفي الالتفات إلى الغائب دلالةٌ على الهيمنة الإلهيَّة بالنَّسخ والتَّبديل وغيره ممّا يُشَرِّع بحفظ الشَّرع من الزّيادة أو النُّقصان فيه.

(1) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 13/ 71.

إيثار مضارعة أفعال ﴿فَيَنسَخُ﴾ و﴿يُلۡقِي﴾ و﴿يُحۡكِمُ﴾:

يتجدَّد الإلقاءُ فيتجدد النَّسخُ والإحكامُ

صيغة المُضارع في الأفعال من قوله تعالى: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ﴾ للدَّلالة على الاستمرار التَّجدُّدي[1]؛ لأنَّ الشَّيطان لا ينفكُّ عن إلقاء الوسوسة عند تجدُّد التَّمني مُستمرًّا عليها كُلَّ وقتٍ وحينٍ، والله تعالى بهديه وبيانه ينسخُ ما يُلقي الشَّيطان؛ أيْ: يُزيل الوساوس والمُثبِّطاتُ التي يُلقيها، ويزيد آيات دعوة رسله بيانًا، وذلك هو إحكام آياته؛ أيْ: تحقيقها وتثبيت مدلولها وتوضيحها بما لا شبهة بعده إلّا لمَن رين على قلبه[2].

إيثارُ العطفِ بأداة التَّراخي ﴿ثُمَّ﴾:

بيان عُلوِّ رُتبة الإحكام الحاصل

لمّا كان إبطاله سُبحانه للشُّبه إبطالًا مُحكمًا، لا تتطرَّق إليه - لعلوّ رُتبة بيانه - شُبهةٌ أصلاً؛ عبَّر بأداة التَّراخي فقال: ﴿ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ﴾[3]؛ فـ﴿ثُمَّ﴾ للتَّرتيب الرُّتبيّ، لأنَّ إحكام الآيات وتقريرها بنسخ ما يُلقي الشَّيطان؛ فيتَّضح الهُدى ويزداد ما يُلقيه الشَّيطان نسخًا[4]؛ فهي للتَّراخي في الرُّتبة لا في الزَّمان[5].

دلالةُ إظهارِ لفظِ الجلالةِ:

زيادةُ التَّقريرِ وإيذانٌ بأنَّ الأُلوهيَّةَ من موجباتِ الإحكام

في قوله تعالى: ﴿يُحۡكِمُ ٱللَّهُ﴾ إظهارٌ لاسم الجلالة في موقع الإضمار؛ لزيادة التَّقرير، والإيذان بأنَّ الألوهيّة من موجباتِ إحكامِ آياته الباهرة[6]، وللإشارة إلى ضعف كيد الشَّيطان أمام جلال الله وجماله وكماله؛ فهذا الإظهار يواجه إظهارَ الشّيطانِ ويقابله.

دلالةُ لفظ الآيات مجموعًا:

الإشارةُ إلى كثرة الآيات والمُعجزات الدّالَّة على الحقائق

المُراد بـ (الآيات) في قوله تعالى: ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾؛ أي: الدّالَّة؛ فليس

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 113.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 299، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 17/ 128.
(3) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 13/ 71.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 300.
(5) القُونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 13/ 92.
(6) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 113.

المُراد بها آيات القُرآن؛ بل المُراد الأدلة الدّالَّة على الحَقيقَة وإزالة الشُّبَه، وهذا على أنَّ معنى الأُمنيّة على أصله[1]؛ وفي هذا إشارة إلى كثرة الآيات الدّالَّة على الحقائق؛ لأنّها مضافةٌ إلى الله الحكيم الذي له سبحانه في كلّ شيء آيةٌ وبُرهان.

بلاغةُ حذفِ المُضافِ مع فعلي النَّسخِ والإحكامِ:

اختصارُ الكلامِ للعلم به من دلالة السّياق

النَّسخ: الإزالة، والإحكام: التَّثبيت؛ وفي كلتا الجملتيْن من قوله تعالى: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ﴾ حذفُ مضافٍ اختصارًا؛ أيْ: ينسخ الله آثارَ ما يُلقي الشَّيطان، ويُحكمُ آثارَ آياته[2]، وفي الحذف إبلاغٌ يُصوِّرُ قوّة حصول الفِعْليْن وعظمتهما؛ لكونهما مُستنديْن إلى الذي له كمال، وينتفي عنه كلُّ نقصان.

بلاغة التَّذييل بالجُملة الاعتراضيَّة:

تعليلٌ لإبطال شبهات الشَّيطان ووسوساته، وإحكامِ براهين القرآن وآياته

جُمْلَةُ ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ جملةٌ مُعْتَرِضَةٌ[3]، جيء بها إثباتًا لكبريائه تعالى وتأكيدًا على أنَّ الأمر كلَّه راجعٌ له، فهو الذي مَكَّنَ من الإلقاء، وهو الذي أحكم الآيات لِعِلَّةٍ وحكمةٍ أرادها؛ فجاءت الجملة عِلَّةً في المعنى لما قبلها من إبطالٍ لشبهات الشَّيطان ووسوساته وإحكام براهين القرآن وآياته؛ فالله عليمٌ بكلِّ شيءٍ، له الحكمة التّامَّة والحُجَّة البالغة، فيجازي المُفتري بافترائه، ويُظهر الحقَّ للمؤمنين[4]، ونلمح تناسبًا بين العلم والنَّسخ والحكمة والإحكام، فهو عليم بالنَّسخ حكيمٌ في إحكام الآيات؛ فيكون الوصفان المُذيَّل بهما الكلام بمثابة الدَّليل على النَّسْخ والإحكام.

دلالةُ صيغة (فعيل) في الاسميْن الأحسنيْن:

الكمال في الذّات والأفعال

قوله تعالى ﴿عَلِيمٌ﴾؛ أيْ: مبالِغٌ في العلمِ بكلِّ ما مِن شأنِه أنْ يُعلم

(1) القُونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 13/ 92.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 301.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 300.
(4) شحاتة، تفسير القرآن الكريم: 17/ 3400.

عِلْمًا عظيمًا بكلّ شيءٍ و﴿حَكِيمٌ﴾ في كلّ ما يفعلُ، له الحكمة البالغة في كلِّ شيءٍ[1]؛ فتُصوِّر صيغة المبالغة كمالَ علمِه وحِكْمته ﷻ.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الرَّسْل والبَعْث:

الـرّسـلُ توجيهٌ بـرفـقٍ وتُـــؤدةٍ، والبعثُ توجيهٌ بـــإثـــارةٍ ودفـــعٍ وإيقاظٍ

يتقاربُ لفظا (الرّسل) و(البعث) إذ يشتركان في معنًى لُغويٍّ عامٍّ هو: التَّوجيه، كما أنَّه قد يُستعمل كُلٌّ منهما بمعنى الآخر[2]؛ إذ أحدُ معاني الإرسال هو البعث[3]، وأحدُ معاني البعث هو الإرسال، إلّا أنَّهما يفترقان ببعض الملامح المُميّزة لكلٍّ منهما، ومن هذه الفروق ما ذكره العسكريُّ فقال: "الفرقُ بين البَعْث والإرسال أنَّه يجوز أنْ يبْعَث الرَّجلُ إلى الآخرِ لحاجةٍ تخصُّه دونك ودون المبعوث إليه؛ كالصَّبيِّ تبعثهُ إلى المكتبِ فتقول: بعثْتُه، ولا تقول: أرْسلتُهُ؛ لأنَّ الإرْسال لا يكونُ إلّا برسالةٍ وما يجْري مجْراها"[4].

كما أنَّ الإرسالَ يتميّزُ بملمحِ الرِّفقِ والتُّؤدةِ والسُّهولةِ؛ إذ إنَّ أصل (رسل) يدلُّ على الانْبعاثِ والامْتدادِ، والرَّسْلُ: السَّيْرُ السَّهْلُ[5]، والرِّسْل: الرِّفْق والتُّؤَدة، والإرْسالُ: الإطْلاقُ، والإهمال، والتَّخْليَةُ، والتَّوجيه[6]، والإرْسال: في المَحْبوس: إطْلاقه، وفي المُطلق: بَعثه[7]، في حين يتميّزُ البعثُ بملمحِ الإثارةِ والاندفاعِ والإيقاظِ، إذ إنَّ أصلَ (بعث) يدلُّ على الإثارة[8]، ويختلفُ البعثُ بحسب اختلافِ ما عُلِّق به، فبَعَثْتُ البعير: أثرتُهُ وسيّرتُه، وبعثَ اللّهُ الموتى: أخرجَهم

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 6/ 113.
(2) الكفويّ، الكُلّيّات، ص: 244.
(3) ابن الجوزيّ، نزهة الأعين النَّواظر، ص: 151.
(4) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 289.
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (رسل).
(6) ابن منظور، لسان العرب، والزَّبيديّ، تاج العروس: (رسل).
(7) ابن الجوزيّ، نزهة الأعين النّواظر، ص: 152.
(8) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (بعث).

وسيَّرهم إلى القيامة، وبعثَ رسولًا: أرسله ووجّهه[1]، وانْبعثَ الشَّيءُ: اندفعَ، وبعثهَ من نومه: أيقظهُ وأهَبَّه، والبَعْثُ: النُّشور[2].

النَّسخ والإزالة:

أصل (زولَ) يدلّ على تنحّي الشَّيء عن مكانه، يُقال: أزال الشَّيءَ عن وظيفته: نحّاه عنها، وأبعدَهُ، وعزَلَه[3]، والنَّسخُ: "إزالةُ شيءٍ بشيءٍ يتعقّبهُ، كنَسخِ الشّمسِ الظِّلَّ، ونَسْخِ الظِّلِّ الشَّمْسَ، ونَسْخِ الشَّيبِ الشَّبابَ، فتارةً يُفهمُ منهُ الإزالةُ، وتارةً يُفهمُ منهُ الإثباتُ، وتارةً يُفهمُ منهُ الأمرانِ، ونَسْخُ الكتابِ: إزالةُ الحُكْمِ بحُكْمٍ يتعقَّبُه"[4].

النَّسخُ إزالةٌ مخصوصةٌ تَعْقُب الشَّيءَ مباشرةً، وفيها معنى إثبات غيره

(1) الرّاغب، المُفردات، ص: 132.
(2) ابن سِيدَه، المُحْكَم، وابن منظور، لسان العرب: (بعث).
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (زول)، والمصطفويّ، التَّحقيق: 4/ 366.
(4) الرّاغب، المُفردات: (نسخ).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والثلاثون،
سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 35 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-77-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 35 : المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-77-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984898 بتاريخ 2024/11/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»